

العناية
بالصحة
العقلية
للأبناء
قبل
ولادتهم

- الحرص من انتقال الأمراض العقلية الوراثية إلى الأبناء.
- العناية بغذاء الأم الحامل من أجل تكون مخ طبيعي للجنين.
- العناية بصحة الأم الحامل من أجل صحة مخ الجنين وسلامته.
- وقاية مخ الجنين من تأثيرات التدخين والمخدرات والأشعة الضارة.
- وقاية مخ الجنين من مخاطر الولادة.

الفصل الأول

العناية بالصحة العقلية للأطفال قبل ولادتهم

مقدمة:

إذا كانت سلامة البناء تتوقف - إلى حد كبير - على سلامة الأساس، وكان لضعف الأساس أثر في ضعف البناء، فإن قوة العقل وسلامة النمو العقلي تتطلب سلامة للأساس العقلي وصحة لسير النمو العقلي... وإذا كانت قوة النبتة وترعرعها تتوقف على جودة التربة التي تنبت فيها وخصوبتها، فإن قوة العقل وسلامة النمو العقلي للأطفال تتوقف على جودة التراث الوراثي العقلي للآباء وسلامته.

لذلك جاء هذا الفصل - الأول - العناية بالصحة العقلية للأطفال قبل ولادتهم، من قبل أن يتخير الزوج (الأب) زوجته (الأم)... بحيث يشكل كل منهما تربة طيبة وبيئة صالحة للإنبات والنمو العقلي السليم للأطفال، فيتم بذلك - بعون الله - تفادي التأثيرات السلبية لعوامل الوراثة على الناحية العقلية مستقبلاً لدى الأطفال، مع العناية بصحة مخ الجنين وسلامته أثناء الحمل، وبسلامته أثناء الولادة.

وهذا ما سيتناوله الفصل في نقاط خمس هي:

- الحرص من انتقال الأمراض العقلية الوراثية إلى الأبناء.
- العناية بغذاء الأم الحامل من أجل تكون مخ طبيعي للجنين.
- العناية بصحة الأم الحامل من أجل صحة مخ الجنين وسلامته.
- وقاية مخ الجنين من تأثيرات التدخين والمخدرات والأشعة الضارة.
- وقاية مخ الجنين من مخاطر الولادة.

أولاً: الحرص من انتقال الأمراض العقلية الوراثية إلى الأبناء:

تقتضى التربية العقلية السليمة للأبناء أن يختار كلاً من الزوجين شريك حياته بحيث يشكلان معاً تربيته طيبه وبيئة صالحة لإنجاب أطفال أصحاء عقلياً ولا يحملون أمراضاً عقلية وراثية، والتي من أخطرها الضعف العقلي والتخلف العقلي.

ويمكن للوراثة أن تنقل الضعف أو التخلف العقلي، إما مباشرة عن طريق الجينات الوراثية التي تحملها الكروموزومات في الخلية التناسلية وفقاً لقوانين الوراثة، وإما بطريق غير مباشر، كأن تحمل الوراثة عيباً أو خللاً أو قصوراً يترتب عليه تلف لأنسجة المخ، أو تعويق لنموه أو وظيفته.

كما يؤكد علماء الوراثة خطورة الاختلاف بين نوع دم الأم ودم الجنين (تبعاً لاختلاف دم الأب) من حيث عامل الريزيس (Rh)، وهو أحد مكونات الدم التي تحددها الوراثة، حيث يؤكد علماء

الوراثة أنه إذا كان العامل (Rh) عند كل من الأب والأم موجباً أو سالباً، فلا توجد مشكلة، وأما إذا كان العامل (Rh-) عند الأم، بينما هو (Rh+) عند الجنين بوراثته من أبيه، أو العكس، فإن ذلك يؤدي إلى تكوين أجسام مضادة وإلى اضطراب في توزيع الأكسجين وعدم نضج خلايا الدم وتدمير كرات الدم الحمراء عند الجنين، وبالتالي يؤثر هذا في تكوين المخ، مما يؤدي إلى تلف جزئي بالمخ، وبالتالي يؤدي إلى الضعف العقلي، وربما يؤدي إلى تلف المخ ومن ثم موت الجنين والإجهاض^(١).

لذا، حث الإسلام - منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان - على التخير للنطف قبل الزواج، حيث قال رسول الله ﷺ: (تخيروا النطفكم فإن العرق دساس)^(٢)، وقال (تزوجوا في الحجز الصالح فإن العرق دساس)^(٣). إذ الوراثة يمكنها أن تدس وتنقل أمراضاً من جيل الآباء إلى جيل الأبناء، والتي من أخطرها الأمراض العقلية، أو تهيباً لأسباباً لهذه الأمراض.

ثم لماذا هذا الحض على حسن التخير قبل الزواج؟... إنه لإنجاب جيل قوى، ولأنه كما روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير)^(٤). والقوة العقلية في مقدمة ما تحتاجه الأمة في أبنائها، وتحتاجه المعمورة لإعمارها.

وانطلاقاً من توجيهات الخالق سبحانه وتعالى بوقاية أنفسنا وأهليتنا

وأبناؤنا من كل ذى شر، لقوله تعالى: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ (التحریم: ٦)، وقوله: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ (النساء: ١١)، وطلباً لوقاية الأجيال القادمة من أخطر الأمراض الوراثية (الضعف أو التخلف العقلي)، ينصح المقبلون على الزواج بإجراء (الفحص الوراثي قبل الزواج) لتفادي مسببات تلك الأمراض، سواء كانت بسبب الجينات - كما سبقت الإشارة - الحاملة للمرض، أو بسبب اختلاف عامل الريزيس (Rh) لدى الأب والأم، أو غيرها من عوامل، ولا سيما إذا أريد الزواج من عائلة تحمل هذا المرض العقلي.

ثانياً: العناية بغذاء الأم الحامل من أجل تكون مخ طبيعى للجنين:

يؤثر غذاء الأم الحامل - سلباً أو إيجاباً - على صحتها، ومن ثم على صحة جنينها، ويكون التأثير سلبياً مع نقص الغذاء أو نقص عناصره، وعلى سبيل المثال، يؤثر نقص الفيتامينات، وخاصة فيتامين "ب" المركب، على الجهاز العصبي لكل من الأم والجنين^(٥).

وفي هذا الصدد، يقول الدكتور وليام كونر بمركز أوريجون لعلوم الصحة: أن عقول الجيل القادم تتطور داخل الأرحام... ولا يمكن تكوين مخ طبيعى للجنين دون مدد كافٍ للأم من الأغذية الضرورية للمخ... إذن، ما الأطعمة التي ينبغي للأمهات الحوامل تناولها لبناء مخ أفضل لوليدها؟... وتأتى فى مقدمة هذه الأطعمة دهون أوميغا ٣: (التي يتم الحصول عليها من الأسماك، وزيت السمك، والزيت الحار...). والتي يوصى بها العديد من العلماء والباحثين،

حيث لا يمكن لمخ جنين أو طفل رضيع أن يصل مداه، أو أن يكون ذكيًا - في المستقبل - دون إمداده بتلك الدهون.

وقد وجد في بحث أجراه الدكتور وليام كونر أن تناول الأسماك، خاصة السردين، أثناء الحمل، من شأنه أن يرفع وبقوة مستويات دهون أوميغا ٣ لدى الأطفال حديثي الولادة، ومن المثير للاهتمام أنه كلما تناولت الأم الحامل مزيدًا من الأسماك وزيت السمك، ازدادت لديها ولدى طفلها مستويات أوميغا ٣ الدهنية، الهامة لبناء مخ أكثر تطورًا وأكثر ذكاءً في المستقبل.

وتجدر الإشارة - هنا - إلى البرنامج الغذائي الذي تضعه السلطات اليابانية للاهتمام بعقول أبنائها، فلا تسمح للعقول الثمينة، المفكرة والمبتكرة لديها، أن تعاني من سوء التغذية، أو تناول ما يؤثر سلبًا على طاقتها العقلية ونشاطها الذهني... فتدعم أطعمة هذه العقول بزيت السمك، الضروري لأداء المخ بشكل جيد. وتبدأ بهذا البرنامج مبكرًا، مع الأطفال وهم أجنة في بطون أمهاتهم، فيشجع اليابانيون الأمهات الحوامل والمرضعات على أكل السمك يوميًا وتناول زيت السمك^(٦).

ثالثًا: العناية بصحة الأم الحامل من أجل صحة مخ الجنين وسلامته:

هناك عدة عوامل، غير وراثية، قد تحدث الإعاقة العقلية قبل الولادة وأثناء تكون الجنين، نتيجة لتعرض الأم الحامل لها، والتي يقتضي الأمر الوقاية منها والعناية بصحة الأم الحامل، حفاظًا على سلامة مخ الجنين.

ومن هذه العوامل ما يلي:

١ - إصابة الأم الحامل ببعض الأمراض أثناء فترة الحمل، مثل مرض الحصبة الألمانية، ومرض الزهري، ومرض تسمم البلازما، ومرض الحمى الصفراء الذى يؤدي إلى ارتفاع نسبة الصفراء فى الدم فيصيب الجنين بالصفراء المخية.

٢ - تعرض الأم الحامل للإشعاعات، وخاصة الأشعة السينية خلال الشهور الأولى للحمل.

٣ - اضطراب الغدد الصماء، وخاصة الغدة الدرقية، حيث يؤدي نقص أو انعدام هرمون الثيروكسين الذى تفرزه الغدة الدرقية إلى قصور فى نمو مخ الجنين، ويولد الطفل معوقاً عقلياً مقروناً بالقزامة، ويمكن علاج تلك الحالة إذا اكتشفت مبكراً، بإعطاء الطفل خلاصة الغدة الدرقية لمدة طويلة من العمر^(٧).

رابعاً : وقاية مخ الجنين من تأثيرات التدخين والمخدرات والأشعة الضارة:

يؤكد أطباء المخ والأعصاب أن تدخين الأم الحامل يؤثر سلبياً على خلايا مخ الجنين، ومن ثم ظهور درجة من درجات الضعف أو التخلف العقلى لدى هذا الطفل مستقبلاً، وتتوقف درجة هذا التأثير على درجة تركيز النيكوتين والمواد السامة الأخرى بدم الأم الحامل. فتدخين الأم الحامل يؤدي إلى نقص كمية الأكسجين بدم الأم، ومن

ثم نقص كمية الأكسجين بدم الجنين، وهذا ما يؤدي إلى تلف في خلايا مخ الجنين، مما يترتب عليه مشاكل عقلية لدى الجنين، تزيد من احتمالية ولادة طفل متخلف عقلياً، هذا بخلاف المشاكل والإعاقات البدنية لدى المولود.

وتشير الدراسات إلى أن تعاطي الأم الحامل للكحوليات أو المخدرات أثناء فترة الحمل يؤدي إلى شلل لدى الجنين نتيجة لقتل الخلايا الحساسة في جسمه، وخاصة خلايا الدماغ، كما يؤدي إلى اضطراب جهازه العصبي وانخفاض معدل ذكائه فيما بعد، بل ويؤدي الإدمان للكحوليات والمخدرات إلى زيادة نسبة المخدر في دم الأم، ومن ثم في دم الجنين، مما يزيد من مساحة الخلايا التالفة بمخ الجنين، ويزيد هذا بدوره من احتمالية ولادة أطفال متخلفين عقلياً^(٨).

وهذا يؤكد سماحة الدين الإسلامي وإنسانيته بسبق حرصه على سلامة الأمهات وأجنتهن، حينما حرم الخمر والمسكرات والمخدرات بكافة أنواعها، بل والطرق المؤدية إليها، حيث قال الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّهَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة: ٩٠)، وحيث قال رسول الإنسانية ﷺ: (كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام)، وفي رواية: (كل مسكر خمر، وكل خمر حرام)^(٩).

كما تدل الدراسات على أن تعرض حوض الأم الحامل وبطنها للأشعة السينية بجرعات كبيرة - ولا سيما في شهور الحمل الثلاثة

الأولى- يؤذى الجنين ويؤثر على جهازه العصبى ويؤدى إلى الضعف العقلى، ما لم يؤدى إلى الإجهاض^(١٠)، مما يفرض على الأمهات الحوامل، وعلى الأطباء، عدم تعريض الجنين لأى نوع من أنواع الأشعة الضارة، إذا الكل راع والكل مسئول عن رعيته؛ فالأم مسئولة عن جنينها وعن حمايته وحماية مخه، والطبيب مسئول عن سلامة من أوتمن عليه من أجنه فى بطون الأمهات، فلا يستخدم فى تشخيصه الأشعة الضارة بالأجنة، والتي تؤثر أكثر ما تؤثر على مخ الجنين، لكبر حجم رأسه ومخه مقارنة ببقية جسده، ولشدة تأثير خلايا المخ وضعفها.

خامساً: وقاية مخ الجنين من مخاطر الولادة:

يتعرض الجنين أحياناً لبعض العوامل الضارة بالمخ، وذلك أثناء عملية الولادة العسرة، وينتج عنها إصابته بالإعاقة العقلية، ومن هذه العوامل:

١- نقص أو انقطاع الأكسجين عن المخ: فقد يحدث أثناء الولادة الجافة أو المتعسرة أن ينقطع الأكسجين عن دم الجنين، مما يؤثر على كميته التى تصل إلى المخ، فأثناء الولادة، لو زادت الفترة ما بين انقطاع الحبل السرى وخروج المولود وحصوله على الأكسجين بصرخته وتنفسه الهواء الجوى، لو زادت الفترة عن خمس دقائق فإن ذلك يعرض بعض خلايا المخ للتلف، مما يصيب الطفل بالإعاقة العقلية.

وتجدر الإشارة - هنا - إلى أن أول صرخة يطلقها المولود تعنى بدء عمل جهازه التنفسي، ومن ثم حصوله على الأكسجين وبالتالي الاطمئنان على حياته وحالته، ولو حدث أن تأخرت صرخته هذه، فيجب الإسراع في إخراج السائل الموجود بفمه ومقدمة جهازه التنفسي، وذلك برفعه من قدميه وضربه على ظهره وتشفيط هذا السائل من فمه.

٢ - الضغط الشديد على الدماغ وإصابته: قد تستخدم بعض الأجهزة لإخراج الجنين في حالات الولادة العسرة، وفي بعض الحالات يؤدي الضغط الشديد لهذه الأجهزة على دماغ الجنين إلى إصابة المخ، فتحدث الإعاقة العقلية للطفل أثناء عملية الولادة^(١١). هذا بخلاف ما يمكن أن يحدث من خلع في الكتف أو الذراع أو نحوه، وتفضل هنا عمليات الولادة القيصرية، تفادياً لحدوث مثل هذه المشاكل والإعاقات.

هوامش الفصل الأول

- (١) مديحة الخضرى: موسوعة الطفل الصحية من مرحلة مقابل الولادة، الإسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، ٢٠٠١م، ص ٣٠، ٢١٠.
- (٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق لابن عساكر، ج ٢، ص ٤٢. فى: معجم أطراف الحديث النبوى، ج ٤، لندن، Ej. Brill، ١٩٦٢م، ص ٣٥١.
- (٣) ابن عساكر: كنز العمال، ج ١٦، القاهرة، مؤسسة الرسالة، د.ت، حديث (٤٤٥٥٩).
- (٤) مسلم: صحيح مسلم، المنصورة، مكتبة الإيمان، د.ت، حديث (٢٦٦٤).
- (٥) مجدى محمد الدسوقى: سيكولوجية النمو من الميلاد إلى المراهقة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٣م، ص ٤٥.
- (٦) حسن فكرى منصور: ماذا يأكل ابنك ليتفوق دراسياً؟، القاهرة، مكتبة ابن سينا، ٢٠٠٣م، ص ١٦، ٢٠، ٥٨-٥٩.
- (٧) علا عبد الباقي إبراهيم: الإعاقة العقلية - التعريف عليها وعلاجها باستخدام برامج التدريب للأطفال المعاقين عقلياً، القاهرة، عالم الكتب، ٢٠٠٠م، ص ٤٥.
- (٨) محيى الدين طالو العلبى: تطور الجنين وصحة الحامل، دمشق، دار ابن كثير، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ٢٦٥.

(٩) أ- مسلم (٢٠٠٣).

ب- أبو داود: سنن أبي داود، القاهرة، دار الحديث، د.ت،
(٣٦٧٩).

(١٠) مديحة الخضرى: مرجع سابق، ص.٤.

(١١) علا عبد الباقي إبراهيم: مرجع سابق، ص ٤٦.